المدارس النحوية والاستشهاد بالقرآن الكريم (دراسة نظرية تطبيقية)

أ.عبد العزيز ناصري طالب دكتوراه
جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان

ملخص:

تهدف هذه الدراسة لتسليط الضوء على علاقة القرآن الكريم بالنحو، وكيف كان ظهور اللحن في اللغة عامة وفي قراءة القرآن خاصة، كأحد الأسباب الرئيسية لظهور علم النحو؟ مع توطئة تاريخية للغة العربية قبل ظهور اللحن، ونشأة علم النحو، ثم ظهور المدارس النحوية ونظرتها للقرآن الكريم في تأسيس القواعد النحوية، والدور الذي قام به النحاة الكبار ــ أئمة القراءات ــ أمثال: أبو عمرو بن العلاء والكسائي وغيرهم في تأصيل القواعد النحوية، واعتمادهم على القرآن الكريم بمختلف قراءاته ــ المتواترة منها والشاذة ــ إلى جانب المعتبر من لغات العرب في تقعيد قواعد هذا العلم.مع دراسة تطبيقية لبعض مسائل الإعراب القرآنية والتي شكلت محل الخلاف بينهم.

كلمات مفتاحية:القرآن الكريم، اللحن، اللغة العربية، النحو.

Abstract:

Grammar Syntax Schools and the Qur'an (Theoretical and Applied Study)

This study attempts to shed light on the relationship between the meaning of Quran and its grammar and syntax. It also follows how melody appears both in language in general and Quoran in particular. Melody is conceived as the primary reason for the rise of the grammar in language and the rise of “readings” in Holy Quoran. The study more or less follows the archealogical method in order to reach its findings.

***Keywords*:** Quran, melody, Arabic language, syntax as a science.

مقدمة

الحمد لله وكفى والصلاة والسلام على المصطفى وعلى آله وأصحابه الخلفاء ومن تبع نهجهم واقتفى أما بعد: فخلال دراستي لبعض تفاسير القرآن اللغوية اطلعت

علىإعراب بعض الآيات القرآنية والاستشهاد لها بالشعر العربي وعرض لآراء النحاة في إعرابها، وجدت أن هناك علاقة وطيدة بين علم النحو والقرآن، وقد قال العلماء: أنه يستحيل على الذي لم يتمكن في العربية أن يفسر القرآن ويستخرج معانيه ومدلولاته، والمتتبع لتراجم وسير المفسرين يجد جلهم نحاة إن لم نقل كلهم، وقد كان أغلب النحويين مفسرين للقرآن، أو لهم قراءة خاصة بهم، كعمرو بن العلاء زعيم المدرسة البصرية في النحو ــ وهو صاحب قراءة متواترة معتمدة ـ وهو شيخ أبو عبيدة معمر بن المثنى صاحب غريب القرآن، والكسائي وتلميذه الفراء والذي له أيضًا قراءة خاصة متواترة، وهو من الزعماء والمؤسسين للمدرسة الكوفية في النحو، والتي لها منهج خاص ومحكم في وضع أسس النحوــ كما سنعرف هذا لاحقًاــ والفراء أحد رواة قراءة حمزة المشهورة، وهو تلميذ له مع شيخه الكسائي، والزمخشري صاحب الكشاف والذي تفسيره من التفاسير اللغوية المهمة، مع كون صاحبه معتزلي ولكن علماء السنة اعتنوا بتفسيره لما فيه من الاستنباطات اللغوية والنحوية والبلاغية المهمة.فاخترت هذا الموضوع كمجال لبحثي المتواضع وهو:علاقة القرآن بالنحو وكيف أهتم به النحاة منذ القدم؟ وإليه يرجع الفضل في نشأة علم النحو، ويتجلى لنا هذا في أن أغلب المقرئين أو جلهم نجدهم نحويين كبارًا، كما نجد أغلب النحويين ـ خصوصًا الأوائل منهم ـ اهتموا بالقرآن اهتمامًا بالغًا.

وقد وضعت خطة دراسية لهذا البحث، انطلقت فيها من اهتمام العرب بلغتهم قبل الإسلام، وتدرجت إلى كيفية نشأة علم النحو وعلاقة القرآن به، ووجدت أن من الأسباب الرئيسية في نشأته يعود إلى الحفاظ على القرآن الكريم من اللحن والضياع، ثم انتقلت إلى المدارس النحوية وموقفها من الاستدلال بالقرآن الكريم، مع توطئة نظرية للمدارس والعلماء النابغين بها وموقفهم من الاستشهاد بالقرآن على بعض المسائل النحوية المختلفة، وإلى جانب هذا دراسة تطبيقية اذكر من خلالها آراء علماء المدارس النحوية المختلفة في بعض المسائل القرآنية، والتي

شكلت نقطة الخلاف بينهم، ثم تأتي الخاتمة متضمنة لما توصلت له من نتائج، وأسأل الله أن يجعل عملنا خالصا لوجهه، إنّه نعم المولى ونعم النصير.

أولاً: اهتمام العرب بلغتهم قبل الإسلام

كانت البادية العربية في العصر الجاهلي رغم ما فيها من فتن وأعراف فاسدة، كوأد البنات والرباوعبادة الأوثان والخمر ولعب القمار، وانتشار الجهل والحروب والتناحر بين القبائل العربية كحرب داحس والغبراء وغيرها من الأعراف الفاسدة، إلى جانب هذا كان العصر الجاهلي يمتاز بمحاسن لا تنكر في تاريخ العرب كالرجولة والكرم وغيرها من مكارم الأخلاق[1]، وكان العرب محافظين على لغتهم إلى أبعد الحدود، وكانت السليقة وعدم اللحن والخطأ غير متوقع في ذللك العصر، فطغى الشعر والأدب في البيئة العربية، وكان لكل قبيلة أكثر من شاعر يدافع عنها ويمدحها ويفتخر بها[2]، وهذا ما لم يتح الفرصة لظهور علم النحو العربي كعلم مستقل بذاته كما هو اليوم وإلى أنجاء الإسلام ودخل كثير من العرب في الإسلام، وانتقل الرسول ﷺمن مكة إلى المدينة وأسس نواة الدولة الإسلامية الأولى انطلاقًا من المدينة و بدأت الفتوحات الإسلامية في الانتشار خارج الجزيرة العربية.

ولم يكن الإسلام رسالة للعرب خاصة، كما لم يكن القرآن كذلك، بل أنزل الله هذا الدين ليهدي به البشرية جميعًا حيث قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٢٨﴾ [سبأ:28]، فكان من الطبيعي ألا ينحصر الإسلام في شبه الجزيرة العربية بل امتد إلى غيرها من البلدان الأخرى كفارس والروم وغيرها لفتحها ونشر لواء الإسلام فيها، وهذا ما جعل اللسان العربي ينحرف عن السليقة، وظهر ما يسمى: باللحن في العربية.

---

[1]–في تاريخ الأدب الجاهلي، علي الجندي، الناشر: مكتبة دار التراث، الطبعة الأولى 1991م، ص12

[2]–قصة الأدب في الحجاز، عبد الله عبد الجبار . محمد عبد المنعم خفاجي، الناشر: مكتبة الكليات الأزهرية، ص338

ومن المعلوم أن القرآن معجزة لغوية بحد ذاتها، فقد نزل بلسان عربي مبين لقوله تعالى:ﭐلۡعَٰلَمِينَ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا غَيۡرَ ذِي عِوَجٖ لَّعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ﭑلزُّمَر [الزُّمَر:28]، وقد تحدى الله سبحانه وتعالى العرب على أن يأتوا بشيء من مثله، ولكنهم عجزوا رغم ما كانوا عليه من فصاحة وبلاغة. والقرآن نزل على سبعة أحرف، واستقرأ غلبه على لغة قريش، لأن جمع عثمان ﷺكان يركز على حرف قريش، وقد أثرى اللغة العربية بكثير من القواعد والضوابط اللغوية، وكان حجة على اللغة وليست اللغة حجة عليه.وبقي العرب طيلة عهد الرسول ﷺوالعهد الراشدي وعهد بني أمية على ما هم عليه من سليقة لغوية إلى بداية العصر العباسي وزوال ملك بني أمية، وإن كانت هذه المسألة خلافية بين علماء اللغة في أي وقت ظهر اللحن في اللغة العربية؟وبعد تتبع هذه المسألة وجدت أن علماء اللغة متفقون أن اللحن في العربية لم يكن في العصر الجاهلي، وإنما بدأ بظهور الإسلام أو بعده بقليل[1]، وهذا هو الرأي الراجح في نظري بدليل الأدلة الثابتة عن رسول الله ﷺ والآثار الواردة عن الصحابة والتي سأذكرها لاحقا؛ ودخول غير العرب للإسلام وإن كان اللحن في عهد الرسول ﷺوالصحابة قليلاً مقارنة بالعصر الأموي والعباسي لأن الفتوحات اتسعت وشملت أقاليم عديدة كفارس وإفريقيا والمغرب وغيرها وكلها أقاليم غير عربية، والله أعلم.

ثانيًا: نشأة علم النحو وعلاقة القرآن به

خلال دراسة نشأة علم النحو، نلاحظ الارتباط الوثيق بينه وبين القرآن، فقد ظهر اللحن في اللغة عامة وفي القرآن خاصة وكان العرب يفزعون عندما يجدون شخصًا يلحن في كلامه، فقد قال الجاحظ وهو عالم لغوي شهير:" وأوّل لحن

[1]–ضياء السالك إلى أوضح المسالك، محمد عبد العزيز النجار، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى 1422هـ - 2001م، ج1، ص8

سمع بالبادية: هذه عصاتي"[1]، وقد وردت في القرآن: ﴿أَلْقَىٰهَا يَٰمُوسَىٰ ۝١٩ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ۝١٨ قَالَ﴾ [طه:18]، ولم تأت بلفظ عصاتي، وقد ظهر اللحن أولاً في المدينة ثم انتقل إلى البادية، ويذكر الجاحظ قصة أخرى في اللحن حدثة في مجلس قاضي في بغداد بقوله: "وقال بعضهم: ارتفع إلى زياد[2] رجل وأخوه في ميراث، فقال: إن أبونا مات، وإن أخينا وثب على مال أبانا فأكله. فأما زياد فقال: الذي أضعت من لسانك أضرّ عليك مما أضعت من مالك. وأما القاضي فقال: فلا رحم الله أباك، ولا نيّح عظم أخيك! قم في لعنة الله!"[3]، ونحن نعلم أن اللحن ظهر في المدينة قبل البادية لأن أصحاب البادية كانوا على السليقة، وكان سبب ظهور اللحن عند العرب هو انتشار الإسلام خارج الجزيرة العربية، ودخول غير العرب إليه، لأن الرسول ﷺلم يبعث إلى العرب خاصة وإنما بعث للناس عامة، فدخل الإسلام طائفة من الأعاجم، والذين لا ينتسبون إلى أصل عربي، وتعلموا العربية محاكاة وتقليدًا، غير أن ألسنتهم لم تكن تنطق بالعربية الخالصة، وكانت اللكنة الأعجمية تسيطر عليهم، ومن ثمّ ظهر اللحن، وقد كان بعض كبار الصحابة مثل صهيب

---

[1]–البيان والتبين، أبو عثمان عمر بن بحر، الشهير بالجاحظ، الناشر: دار ومكتبة الهلال بيروت، طبعة 1423هـ، ج2، ص151

[2]–قصده زياد بن أبيه وهو: أمير ومن دهاة العرب والقادة الفاتحين، وقد ولاه معاوية بن أبي سفيان العراق، انظر: الأعلام، خير الدين الزركلي، الناشر: دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر – أيار / مايو 2002 م، ج3، ص53، والطبقات الكبرى، ابن سعد، المحقق: إحسان عباس، لناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الأولى، 1968 م، ج7، ص99، وسير أعلام النبلاء، الذهبي، المحقق : مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، الناشر : مؤسسة الرسالة، الطبعة : الثالثة، 1405 هـ / 1985 م، ج3، ص494، وفوات الوفيات، ابن شاكر الكتبي، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الأولى، ج2، ص31

[3]–البيان والتبيين، مرجع سابق، ج2 ص 152

الرومي[1] وسلمان الفارسي[2] من غير العرب، وكان اللحن في عهدالرسول ﷺوعهد الصحابة ظاهرة قبيحة تنفر منها الطباع ولا تستريح إليها النفوس، فقد ذكر ابن جني[3] في كتابه الخصائص:" أن النبي ﷺسمع رجلاً قرأ فلحن فقال: ارشدوا أخاكم فإنه قد ضل"[4]، وأمر عمر بن الخطابﷺ بجلد من وقع في اللحن؛ كأنه إثم لا يكفر إلا بالجلد والتعذيب[5].

---

[1]–صهيب بن سنان بن مالك الرومي، كنيته أبو يحيى، كناه بها رسول الله ﷺ قيل له: الرومي، لأن الروم سبوه صغيرا، فصار ألكن، وكان من السابقين إلى الإسلام، وكان في لسانه عجمة شديدة، وتوفي صهيب بالمدينة سنة ثمان وثلاثين في شوال، وقيل: سنة تسع وثلاثين، وهو ابن ثلاث وسبعين سنة، وقيل: ابن سبعين سنة. انظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة، أبو الحسن عز الدين ابن الأثير، المحقق: علي محمد معوض – عادل أحمد عبد الموجود، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، 1415هـ – 1994 م، ج3، ص38

[2]–سلمان الفارسي أبو عبد الله ويعرف بسلمان الخير مولى رسول الله ﷺ، وسئل عن نسبه، فقال: أنا سلمان بن الإسلام. أصله من فارس، وله قصة طويلة في اسلامه ذكرها ابن الأثير، وهو الذي أشار على رسول الله ﷺ بحفر الخندق في غزوة الأحزاب، وتوفي سنة خمس وثلاثين، في آخر خلافة عثمان، وقيل: أول سنة ست وثلاثين، وقيل: توفي في خلافة عمر، والأول أكثر. انظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة، مصدر سابق ج2، ص515.

[3]–عثمان بن جني الموصلي، أبو الفتح: من أئمة الأدب والنحو واللغة، ولد بالموصل وتوفي ببغداد سنة 392 هـ. انظر: الأعلام، مصدر سابق، ج4، ص204، وسير أعلام النبلاء، مصدر سابق، ج17، ص17، و إنباه الرواة على أنباه النحاة، القفطي، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار الفكر العربي – القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية – بيروت، الطبعة: الأولى، 1406 هـ – 1982م، ج2، ص338، ونزهة الألباء في طبقات الأدباء، كمال الدين الأنباري، المحقق: إبراهيم السامرائي، الناشر: مكتبة المنار، الزرقاء – الأردن، الطبعة: الثالثة، 1405 هـ – 1985 م، ص244

[4]–الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الرابعة، ج2، ص10، والحديث في المستدرك على الصحيحين، تأليف أبو عبد الله الحاكم، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، 1411 – 1990، كتاب التفسير، تفسير سورة حم السجدة، رقم الحديث: 3643، ج2، ص477، وهو صحيح.

[5]–القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية، عبد العالي سالم مكرم، الطبعة الثانية: 1978م، دار المعارف مصر، ص48

ولما اتسعت رقعت الدولة الإسلامية وامتدت إلى بلاد فارس والروم ودخل كثير من الأعاجم إلى الإسلام وضعف اللسان العربي بذلك، ومن أجل صيانة كتاب الله من كل تحريف وتغيير، والحرص على أن يبق كتاب الله هو كتاب العربية الأكبر على الدوام، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ـــ ومن أجل ذلك كله ـــ دعت الحاجة إلى علم يعرف به خطأ الكلام من صوابه، وهو علم النحو، والمتتبع للروايات التاريخية في نشأة هذا العلم، يجد تناقضًا واضحًا بين العلماء والمؤرخين في أول شخص وضع النحو؟ وكذلك في أي عصر وُضع؟ وقد ذُكر ثلاثة من الرجال هم: أبو الأسود الدؤلي[1] ونصر بن عاصم[2] وعبدا لرحمان بن هرمز[3]، ويختلفون في الزمن الذي نشأ فيه علم النحو؟ فبعضهم يقول:أنه نشأ في زمن عمر بن الخطاب ﷺ؟ وبعضهم يقول:أنه في زمن علي بن أبي طالب ﷺ؟ وبعضهم يقول:أنه في زمن زياد ابن أبيه، أي في العصر الأموي؟ ونحن لانريد أن نخوض في هذا الخلاف بين العلماء والمؤرخين؛ لأن المقام لا يسعنا في بحث

---

[1]-أَبُو الأَسْود الدُّؤلي ظالم بن عمرو بن سفيان الكناني: واضع علم النحو، كان معدودا من الفقهاء والأعيان والأمراء والشعراء والفرسان والتابعين. مات سنة 69 هـ. انظر: الأعلام، مصدر سابق، ج3، ص236، والطبقات الكبرى، مصدر سابق، ج7، ص99، ونزهة الألباء في طبقات الأدباء، مصدر سابق، ص19، وإنباه الرواة على أنباه النحاة، مصدر سابق، ج1، ص48

[2]-نصر بن عاصم الليثي: من أوائل واضعي " النحو ". كان فقيها، عالما بالعربية، من فقهاء التابعين، مات بالبصرة سنة 89 هـ . انظر: الأعلام، مصدر سابق، ج8، ص24، والطبقات الكبرى، مصدر سابق، ج7، ص78، ونزهة الألباء في طبقات الأدباء، مصدر سابق، ص23، وإنباه الرواة على أنباه النحاة، مصدر سابق، ج3، ص343

[3]-عبد الرحمن بن هرمز، أبو داود، من موالي بني هشام، عرف بالأعرج: حافظ، قارئ، من أهل المدنية. أدرك أبا هريرة وأخذ عنه، مات سنة117هـ . انظر: الأعلام، مصدر سابق، ج3، ص340، والطبقات الكبرى، مصدر سابق، ج5، ص283، ونزهة الألباء في طبقات الأدباء، مصدر سابق، ص24، وإنباه الرواة على أنباه النحاة، مصدر سابق، ج2، ص172

محدود مثل هذا؛ ونقول أن أكثر الروايات وكتب الطبقات تشير بشكل متواتر إلى أن أبا الأسود الدؤلي هو الذي وضع علم النحو بأمر من الإمام علي ﷺ، وهذا الترجيح هو الذي ذهب إليه العالم اللغوي الشهير ابن جني في كتابه الخصائص حيث قال: "روي من حديث علي ﷺ مع الأعرابي الذي أقراه المقرئ: **أَلَمْ يَعْلَمْ** أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ، **بِجَرِّ** [التوبة:3]، بالكسر والصحيح بالرفع، حتى قال الأعرابي: أو قد برئ الله من رسوله؟! فإن يكن الله برئ من رسوله فأنا أبرأ منه.فأنكر ذلك الإمام علي ﷺ، ورسم لأبي الأسود من عمل النحو ما رسمه، مالا يجهل موضعه"، وهذا ابن جني وهم عالم لغوي شهير يشير إلى أن أبا الأسود الدؤلي هو أول من وضع علم النحو، وكان هذا في منتصف القرن الأول الهجري.وقيل سمي بالنحو لأن الإمام علي ﷺ، قال لأبي الأسود حين بدأ في وضع قواعده: "ما أحسن هذا النحو الذي قد نحوت"[1].

وهكذا ظهر علم النحو كعلم مستقل وأصبح له أعلام ومدارس فيما بعد، وكانت أهم مدرستين اعتمد عليها العلماء في تقعيد قواعده هي: مدرسة البصرة والكوفة وسنعرف هذا لاحقا، وكُثر التأليف والتقعيد لهذ العلم، وكان من أهدافه الأساسية حفظ اللغة العربية والقرآن الكريم من اللحن والخطأ حتى يفهم كلام الله فهما صحيحًا وتكون أحكامه المستنبطة سليمة، ولا يتم ذلك إلا بوضع قواعد تضبط اللغة العربية وهو علم النحو، ولهذه الأهمية نبه العلماء على أهمية اللغة العربية وأصبحت شرطًا من شروط المفسر، ومن أراد الخوض في التفسير والقرآن لابد له من التمكن في العربية.

ثالثًا: المدارس النحوية وموقفها من الاستدلال بالقرآن الكريم

1 ـ المدرسة البصرية: إن الحديث عن المدرسة البصرية هو الحديث عن النحو العربي منذ النشأة[2]، ويكاد الدارسون يجمعون على أن علم النحو نشأ لحفظ اللغة

---

[1]–القران الكريم واثره في الدراسات النحوية، مصدر سابق، ص52.وانظر: الخصائص، مصدر سابق، ج2، ص10

[2]–دروس في المذاهب النحوية، د عبده الراجحي، دار النهضة بيروت. ص9

والقرآن الكريم من اللحن، وقد اعتمد البصريون طائفة من المصادر في إقامتهم للنحو ووضعهم لقواعده وأسسه، وكان القرآن الكريم من أهم المصادر عندهم، وكانوا يأخذون بالقراءات بصفة عامة حتى الشاذة منها، إلا أنهم ضعفوا بعض القراءات غير الموافقة لمذهبهم، ولم يستشهدوا بالحديث الشريف لأن أغلبه مروي بالمعنى، وكان ضمن رواته كثيرًا من الأعاجم[1]، ويعد الشعر الجاهلي والإسلامي والأموي أحد المصادر الأساسية التي اعتمد عليها نحاة البصرة في وضع القواعد، وكذلك اعتمدوا على الذهاب إلى البادية وأخذ اللغة من العرب الذين لم تفسدهم الحضارة، وحددوا بعض القبائل العربية دون سواها، نحو: قيس وتميم وأسد وهذيل وكنانة وطيء، وكان أكبر علماء المدرسة البصرية: ابن أبي اسحاق الحضرمي[2] وتلاميذه يونس بن حبيب[3] وعيسى بن عمر الثقفي[4] وأبو

---

[1]–النحو العربي – تاريخه – أعلامه – نصوصه – مصادره، د محمد سليمان ياقوت، طبعة: 1994م، دار المعرفة الجامعية القاهرة. ص40

[2]–هو أبو بحر عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي، كان قيمًا بالعربية والقراءة، إمامًا فيهما، ويقال إنه أول من علل النحو، وتوفيَ بالبصرة سنة سبع عشرة ومائة في أيام هشام بن عبد الملك، انظر ترجمته في: نزهة الألباء في طبقات الأدباء، مصدر سابق، ص28، والطبقات الكبرى، مصدر سابق، ج7، ص254، وإنباه الرواة على أنباه النحاة، مصدر سابق، ج2، ص104، ووفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ابن خلكان، المحقق: إحسان عباس، لناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: 1، 1994، ج6، ص390

[3]–يونس بن حبيب الضبي بالولاء، أبو عبد الرحمن، ويعرف بالنحوي: علامة بالأدب، كان إمام نحاة البصرة في عصره، ولد سنة 90 هـ، وتوفي سنة 182هـ، انظر ترجمته في: وفيات الأعيان، مصدر سابق، ج7، ص244 والأعلام، مصدر سابق، ج8، ص261، ونزهة الألباء في طبقات الأدباء، مصدر سابق، ص47، وإنباه الرواة على أنباه النحاة، مصدر سابق، ج4، ص74

[4]–عيسى بن عمر الثقفي بالولاء، أبو سليمان: من أئمة اللغة، وهو شيخ الخليل وسيبويه وابن العلاء، وأول من هذب النحو ورتبه، توفي سنة 149 هـ، انظر ترجمته في: وفيات الأعيان، مصدر سابق، ج3، ص486، والأعلام، مصدر سابق، ج5، ص106، وسير أعلام النبلاء، مصدر سابق، ج7، ص200، وإنباه الرواة على أنباه النحاة، مصدر سابق، ج2، ص376

عمرو بن العلاء[1] والخليل بن أحمد الفراهيدي[2] وتلميذه سيبويه[3] الذي له الكتاب في العربية، ويعد هذا الكتاب من أهم ما أُلف في علم النحو، لأنه ظل المرجع للنحاة في كل العصور، وكان القدماء يضعونه في المقام الأول، فقد قال أبو عثمان المازني:" من أراد أن يعمل كتابًا في النحو بعد كتاب سيبويه فليستحي"، وقال السيرافي: "وعمل كتابه الذي لم يسبقه إلى مثله أحد قبله، ولم يلحق به من بعده". وكان المبرد يقول لمن أراد أن يقرأ عليه كتاب سيبويه: "هل ركبت البحر؟ تعظيمًا واستصعابًا له"، وقال الجاحظ:"أردت أن أهدي هدية إلى عبد الملك وزير المعتصم فلم أجد شيء أشرف من كتاب سيبويه"[4]، بالإضافة إلى نصر بن عاصم الليثي، وعنبسة بن معدان الفيل[5]، وعبد الرحمان بن هرمز،

---

[1]–أبو عمرو بن العلاء بن عمار بن العريان التميمي المازني البصري، واسمه العريان؛ أحد القراء السبعة، كان أعلم الناس بالقرآن الكريم والعربية والشعر وإمام البصرة في النحو، توفي سنة 154 هـ، انظر ترجمته في: وفيات الأعيان، مصدر سابق، ج3، ص466، وفوات الوفيات، مصدر سابق، ج2، ص28،

وسير أعلام النبلاء، مصدر سابق، ج6، ص407، وإنباه الرواة على أنباه النحاة، مصدر سابق، ج4، ص131

[2]–الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي الأزدي اليحمدي،من أئمة اللغة والأدب، وواضع علم العروض، أخذه من الموسيقى وكان عارفا بها، وهو أستاذ سيبويه النحويّ وله كتاب العين، توفي سنة 170 هـ، انظر ترجمته في: وفيات الأعيان، مصدر سابق، ج2، ص244، و الأعلام، مصدر سابق، ج2، ص314، وسير أعلام النبلاء، مصدر سابق، ج7، ص429، وإنباه الرواة على أنباه النحاة، مصدر سابق، ج1، ص376

[3]–هو أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر؛وسيبويه لقب له، ومعناه بالفارسية "رائحة التفاح". ويقال: إن أمه كانت ترقصه وهو صغير به، توفي سنة 180 هـ، انظر ترجمته في: وفيات الأعيان، مصدر سابق، ج2، ص244، وسير أعلام النبلاء، مصدر سابق، ج8، ص351، وإنباه الرواة على أنباه النحاة، مصدر سابق، ج2، ص346، ونزهة الألباء في طبقات الأدباء، مصدر سابق، ص54

[4]–البحث اللغوي عند العرب، د أحمد مختار عبد الحميد عمر، الناشر: عالم الكتب، الطبعة: الثامنة 2003م، ص124، وانظر: اثر القرآن والقراءات في النحو العربي، د محمد سمير نجيب اللبدي، الطبعة الاولى 1978م، دار الكتب الثقافية الكويت. ص91 وانظر: القران وأثره في الدراسات النحوية، مصدر سابق، ص 90

[5]– فهو عنبسة بن معدان، ولقب بالفيل: لأن أباه كان يروض فيلا للحجاج بن يوسف فغلب عليه اللقب وانتقل إليه، انظر ترجمته في:إنباه الرواة على أنباه النحاة، مصدر سابق، ج2، ص381، ونزهة الألباء في طبقات الأدباء،

والأخفش الأكبر[1]وكذلك قطرب تلميذ سيبويه[2]، وأبي العباس بن يزيد المبرد[1]والزجاج[1]، وكان أهم كتاب نحوي أُلف في المدرسة البصرية ووصلنا لنا هو "الكتاب " لسيبويه.

مصدر سابق، ص22، وطبقات النحويين واللغويين، محمد بن الحسن الزبيدي الأندلسي، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة: الثانية، الناشر: دار المعارف، ص29

[1]–وهو من شيوخ سيبويه، وهناك ثلاثة علماء نحويين كبار يلقبون بهذا الاسم: الأخفش الكبير هو: أبو الخطاب عبد الحميد بن عبد المجيد، من أهل هجر، وهو شيخ سيبويه وأبي عبيده وغيرهما، والأوسط هو: سعيد بن مسعدة تلميذ سيبويه، والصغير هو: علي بن سليمان تلميذ المبرد وثعلب، فعندنا الأخفش الأكبر والأوسط والأصغر، قال ابن كثير: (وسعيد بن مسعدة أبو الحسن الأخفش الأوسط البلخي ثم البصري النحوي، أخذ النحو عن سيبويه وصنف كتبًا كثيرة منها: كتاب في معاني القرآن، وكتاب الأوسط في النحو وغير ذلك، وله كتاب في العروض زاد فيه بحر الخبب على الخليل، وسمي الأخفش: لصغر عينيه وضعف بصره، وكان أيضا أدلغ، وهو الذي لا يضم شفتيه على أسنانه، وكان أولاً يقال له: الأخفش الصغير بالنسبة إلى الأخفش الكبير، أبي الخطاب عبد الحميد بن عبد المجيد الهجري، شيخ سيبويه وأبي عبيدة، فلما ظهر علي بن سليمان ولقب بالأخفش أيضا صار سعيد بن مسعدة هو الأوسط، والهجري الأكبر، وعلى ابن سليمان الأصغر. وقيل توفي سنة 221 هـ، انظر ترجمته في: البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، الناشر: دار الفكر، عام النشر: 1407 هـ - 1986 م، ج10، ص293، و طبقات النحويين واللغويين، مصدر سابق، ص40، و نزهة الألباء في طبقات الأدباء، مصدر سابق، ص108، و إنباه الرواة على أنباه النحاة، مصدر سابق، ج2، ص36

[2]–هو محمد بن المستنير، يعرف بقُطرُب، أحد العلماء بالنحو واللغة، أخذ عن سيبويه وعن جماعة من العلماء البصريين وهو من تلاميذ سيبويه وهو الذي أطلق عليه هذا الاسم حيث كان دائما يستيقظ قبله، ويمتاز بالنشاط والهمة العالية في طلب العلم والتحصيل، وقطرب دويبة تبكِّر في السعي طلبًا للرزق، قال ابن منظور: (القطرب: دويبة كانت في الجاهلية، يزعمون أنها ليس لها قرار البتة؛ وقيل: لا تستريح نهارها سعيا... وقطرب: لقب محمد بن المستنير النحوي، وكان يبكر إلى سيبويه، فيفتح سيبويه بابه فيجده هنالك، فيقول له: ما أنت إلا قطرب ليل، فلقب قطربا لذلك، انظر ترجمته في: لسان العرب، محمد بن مكرم أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة - 1414 هـ، ج1، ص683،و طبقات النحويين واللغويين، مصدر سابق، ص99، وإنباه الرواة على أنباه النحاة، مصدر سابق، ج3، ص213، ونزهة الألباء في طبقات الأدباء، مصدر سابق، ص76

[1]–أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي المعروف بالمبردأي "المثبت للحق" وهو إمام أهل البصرة في العربية، ومن آثاره: "الكامل في اللغة والأدب والنحو والتصريف" و "المقتضب في النحو"، وغيرهما، انظر ترجمته

أ ـ البصريون والاستشهاد بالقرآن الكريم:

1 – قال تعالى:ﭐلْمَـٰلَمِينَ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَـَٔامِنُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧٠﴾ رَبِّ [النساء:170]، يرى الخليل بن أحمد وسيبويه أن "خيرا" في الآية الكريمة مفعول به لفعل محذوف تقديره "واتوا خيرا لكم"، بينما يرى الكوفيون أنها خبر لفعل ناقص تقديره يكن أي "فآمنوا يكن الإيمان خيرا لكم"، ولا يخفى بأن رأي الكوفيين باعتبار الكلمة خبرًا لكان المحذوفة مع اسمها يتناسب مع المعنى ويكشفه، ولكنّه كإعراب يتضارب مع قواعد اللغة، لأن التقدير له حالات مخصّصة ولا نستطيع أن نطلق العنان لأنفسنا في هذا المجال[2].وعلى هذا يكون رأي المدرسة البصرية هو الراجح في إعراب هذه الآية الكريمة، فنصب كلمة "خيرًا" اتفق عليه أئمة النحو، ولكن الخلاف وقع في المحذوفوالتقدير، والله أعلم.

في: طبقات النحويين واللغويين، مصدر سابق، ص101، وإنباه الرواة على أنباه النحاة، مصدر سابق، ج3، ص241، ونزهة الألباء في طبقات الأدباء، مصدر سابق، ص164، ووفيات الأعيان، مصدر سابق، ج4، ص313

[1]–هو أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل الزجاج، كان من أكابر أهل العربية، وكان حسن العقيدة، جميل الطريقة، وصنف مصنفات كثيرة؛ منها كتاب المعاني في القرآن، وكتاب الفرق بين المؤنث والمذكر، وكتاب فعلت وأفعلت، والرد على ثعلب في الفصيح؛ إلى غير ذلك، ولقب بالزجاج: لأنه كان في حداثته يخرط الزجاج فنسب إليه وهو من تلاميذ المبرد، انظر ترجمته في: طبقات النحويين واللغويين، مصدر سابق، ص111، وإنباه الرواة على أنباه النحاة، مصدر سابق، ج1، ص194، ونزهة الألباء في طبقات الأدباء، مصدر سابق، ص183، ووفيات الأعيان، مصدر سابق، ج1، ص49، ونشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، محمد طنطاوي، المحقق: أبي محمد عبد الرحمن بن محمد بن إسماعيل، الناشر: مكتبة إحياء التراث الإسلامي، الطبعة: الأولى 2005م–1426هـ، ص92 بتصرف

[2]–الجدول في إعراب القرآن الكريم، المؤلف: محمود صافي، الناشر: دار الرشيد، دمشق – مؤسسة الإيمان، بيروت، الطبعة: الرابعة، 1418 هـ، ج6، ص251

2– قال سيبويه في الكتاب: أن الحروف المقطعة في أوائل السور هي أسماء لها تميز بعضها عن بعض، ف:"الم" غير "حم" وهكذا[1].والحروف المقطعة: هي نصف حروف الهجاء التي تبدأ بها تسع وعشرون سورة من سور القرآن الكريم مثل: الم، كهيعص، طه وما إلى ذلك، وفيها إشارة إلى إعجاز القرآن، فقد وقع به تحدّي المشركين، فعجزوا عن معارضته، وهو مركب من هذه الحروف التي تتكون منها لغة العرب. ومن المعلوم أن الحروف المقطعة مسألة خلافية كبيرة، ولا يمكن التعرض لها في بحث محدود مثل هذا.

3 – قال سيبويه:"اذا تكلم عربي في الإمالة في المنصوب بغير ما تكلم به عربي آخر، فلا تظن أنه مخطئ " فهو لا يخطئ العربي أيًا كان، والقراءة لات ُخالف لأنها سنة[2].

4 – قال سيبويه: في القراءة الشاذة: وزعموا أن بعضهم قرأ : "وَلاَتَ حِينُ مناَص" وهي قليلة كما قال بعضهم في قول سعد بن مالك:مَنْ فَرَّ عن نِيرانِها فأنا ابْنُ قَيْسٍ لا بَراحُ[3]

جعله بمنزلة – ليس– فهي منزلة –لات – في هذا الوجه[4].

أما هذه القراءة الشاذة فهي قراءة عيسى الثقفي، ووجهها سيبويه، ولم يخطئها، وهذا مذهبه في التعامل مع القرآن الكريم، فهو يحاول دائما توجيه القراءة دون

---

[1]–الكتاب، عمرو بن عثمان بن قنبر الملقب سيبويه، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة: الثالثة، 1408 هـ - 1988 م، ج3، ص258

[2]–منهج سيبويه في الاستشهاد بالقرآن الكريم وتوجيه قراءاته ومآخذ بعض المحدثين، د سليمان يوسف خاطر، طبعة 2004م، دار ابن الجوزي عمان الاردن. ص 285

[3]–سعد بن مالك بن ضبيعة بن ثعلبة أحد سادات بكر بن وائل وفرسانها في الجاهلية، انظر: المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم وبعض شعرهم، أبو القاسم الآمدي، المحقق: الأستاذ الدكتور ف. كرنكو، الناشر: دار الجيل، بيروت، الطبعة: الأولى، 1411 هـ - 1991 م، ص172

[4]–منهج سيبويه في الاستشهاد بالقرآن الكريم، مصدر سابق، ص286، وانظر: الكتاب، لسيبويه، مصدر سابق، ج1، ص58

الطعن فيها ما استطاع إلى ذلك سبيلاً؛لأنها تفيدنا في التفسير وكشف المعنى، وتعامل مع هذه القراءة الشاذة بقوله: وهي قليلة، واستشهد لها بهذا البيت الشعري ولم ينفها، لأن المذهب النحوي يقتضي أن يأتي "الحين" مع "لات" منصوبًا ويكون اسمها مضمرًا، وهذه القراءة الشاذة: "وَلاَتَ حِينُ مناَص"برفع "الحين" على أنه اسم "لات"، والخبر محذوف؛ والتّقدير: ولات حينُ مناص كائنًا لهم[1]، وهي نادرة في كلام العرب ولكنها وردت في هذا البيت الشعري الذي ذكره سيبويه وهذا تخريج لها.أما القراءات لهذه الآية الكريمة وتوجيهها النحوي وتفسيرها فقراءة"وَلاَتَ حِينِ مَنَاصٍ" بخفض "حين"؛ وهي قراءة شاذة، فزعم الكوفيون أنّ "لات" تستعمل حرفا جارًّا لاسم الزّمان خاصّة.فتحصّل في "حين" ثلاثُ قراءات: الرّفع، والنّصب، والجرّ؛ وفي الرّفع ثلاثة أقوال: إما على الابتداء، أو على الاسميّة لـ "لات" إنْ كانت عاملة عمل ليس، أو على الخبريّة لها إنْ كانت عاملةً عمل "إنّ"، وفي النّصب ثلاثةُ أقوال – أيضًا –: إما على الاسميّة لـ "لات" إنْ كانتْ عاملة عمل "إنّ"، أو على الخبرية لها إنْ كانت عاملة عمل "ليس"، أو على أنّه مفعولٌ بفعلٍ محذوف تقديرُه: لا أرى حين مناص[2]. وقال مكي بن أبي طالب في تفسير هذه الآية: ﴿ٱلْعَـٰلَمِينَ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَواْ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴿٣﴾﴾ [ص:3]، أي: وليس ذلك الوقت حين فرار ولا هرب من العذاب بالتوبة لأنه أوان لا تنفع فيه التوبة. " ولات " حرف مشبه بليس، والاسم في الجملة مضمر، "أي: ليس" حينكم حين مناص، وهذا مذهب سيبويه، والتاء دخلت لتأنيث الكلمة، وحُكي أن من

[1]–القراءات الشاذة وتوجيهها النحوي، محمود محمد الصغير، دار الفكر دمشق، الطبعة الأولى 1999م، ص115 وص441 بتصرف

[2]–اللمحة في شرح الملحة، شمس الدين، ابن الصائغ، المحقق: إبراهيم بن سالم الصاعدي، لناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1424هـ/2004م ج1، ص487

العرب من يرفع بها، وهو قليل على حذف الخبر، ومناص: مَفْعَلٌ من ناص ينوص إذا تأخر. فالنوص التأخر، والبوص التقدم[1].

5 – قال سيبويه: قرأ ناس: "والسارقَ والسارقةَ" و "الزانيةَ والزانيَ" بالنصب مع أنها قراءة شاذة وهو في العربية على ما ذكرت لك من القوة، ولكن أبت العامة إلا القراءة بالرفع[2]. ويرى أن خبر المبتدأ محذوف وتقديره" فيما أتلوه " وكذلك في آية الزنى، بينما يرى غيره أن الخبر هو "فاقطعوا". يريد بالعامة الجماعة من الرواة والقراء، والاختيار عنده النصب، لأن الأمر بالفعل أولى، فهو عنده مثل " زيدًا فاضربه "، ولا يجوز سيبويه أن يكون الخبر قوله:فاقطعوا، لأن الفاء لا تدخل إلا في خبر مبتدأ موصول بظرف أو مجرور، أي جملة صالحة لأداة الشرط. والموصول هنا: أل، وصلتها اسم فاعل أو اسم مفعول، وما كان هكذا لا تدخل الفاء في خبره عند سيبويه. وخُولف في ذلك فقال الكوفيون في الآية:ٱلسَّـٰرِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا [المائدة:38]، الرفع أولى، أن يكون والسارق والسارقة مبتدأ، والخبر جملة الأمر، أجروا أل وصلتها مجرى الموصول المذكور، لأن المعنى فيه على العموم إذ معناه: الذي سرق والتي سرقت؛ لأنك لا تقصد إلى سارق بعينه، وإنما المعنى: كل من سرق فاقطعوا يده، وقال أبو العباس المبرد وهو قول جماعة من البصريين، اختار أن يكون "والسارق والسارقة" رفعًا بالابتداء لأن القصد ليس إلى واحد بعينه فليس هو مثل: قولك زيدا فاضربه إنما هو كقولك من سرق فاقطع يده، فجيء بالفاء رابطة للجملة الثانية، فالأولى موضحة للحكم المبهم في الجملة الأولى، قال الزجاج: وهذا القول هو المختار.

---

[1]–الهداية إلى بلوغ النهاية، مكي القيسي، المحقق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي – جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة، الطبعة: الأولى، 1429 هـ – 2008 م، ج10، ص6201

[2]–منهج سيبويه في الاستشهاد بالقرآن الكريم، مصدر سابق، ص290

ودافع أبو حيان في تفسيره على سيبويه بقوله: ولما كان معظم القراء على الرفع، تأوله سيبويه على وجه يصح، وهوأنه جعله مبتدأ، والخبر محذوف، لأنه لو جعله مبتدأ والخبر فاقطعوا لكان تخريجا على غير الوجه في كلام العرب، ولكان قد تدخل الفاء في خبر أل وهو لا يجوز عنده. وقد تجاسر أبو عبد الله محمد بن عمر المدعو بالفخر الرازي ابن خطيب الري على سيبويه وقال عنه ما لم يقله فقال: الذي ذهب إليه سيبويه ليس بشيء، ويدل على فساده وجوه: الأول: أنه طعن في القراءة المنقولة بالمتواتر عن الرسولﷺ، وعن أعلام الأمة، وذلك باطل قطعا.قلت: هذا تقول على سيبويه، وقلة فهم عنه، ولم يطعن سيبويه في قراءة الرفع، بل وجهها التوجيه المذكور...فمعنى كلام سيبويه يقوي الرفع على ما ذكر، فكيف يكون طاعنًا في الرفع؟ وقال الفخر الرازي: فإن قلت: – يعني سيبويه– لا أقول إن القراءة بالرفع غير جائزة، ولكني أقول: القراءة بالنصب أولى، فنقول له: هذا أيضا رديء، لأن ترجيح القراءة التي لم يقرأ بها إلا عيسى بن عمر على قراءة الرسولﷺ وجميع الأمة في عهد الصحابة والتابعين أمر منكر مردود. قلت: هذا السؤال لم يقله سيبويه، ولا هو ممن يقوله، وكيف يقوله وهو قد رجح قراءة الرفع على ما أوضحناه؟ وأيضا فقوله: لأن ترجيح القراءة التي لم يقرأ بها إلا عيسى بن عمر على قراءة الرسولﷺ وجميع الأمة في عهد الصحابة والتابعين تشنيع وإيهام أن عيسى بن عمر قرأها من قبل نفسه، وليس كذلك، بل قراءته مستندة إلى الصحابة وإلى الرسولﷺ، فقراءته قراءة الرسولﷺ أيضا، وقوله: وجميع الأمة، لا يصح هذا الإطلاق لأن عيسى بن عمر ومن وافقهما وأشياخهم الذين أخذوا عنهم هذه القراءة هم من الأمة[1].

[1]– انظر هذا الكلام والردود لأبي حيان في تفسيره على الفخر الرازي الذي طعن في سيبويه، وهو كلام طويل: البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي، المحقق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر – بيروت، الطبعة: 1420 هـ، ج4، ص248

والقراءة الشاذة "والسارقَ والسارقةَ" هي قراءة الصحابي عبد الله بن مسعود وعيسى بن عمر الثقفي، وقرأ ابن مسعود "والسارقون والسارقات فاقطعوا أيمانهم" بلفظ الجمع، وهي شاذة ولكن تفيدنا في التفسير وكشف المعنى المراد من الذكر الحكيم، وتخريجها صحيح من الناحية اللغوية، وسيبويه فضل النصب على الرفع لتوافق مذهبه في النحو، والعامة من النحاة فضلوا القراءة الصحيحة المتواترة بالرفع؛ لأنه في الآية لا يقصد سارقًا محدداً بعينه، ولو قصد سارقًا بعينه كان النصب أولى، وكذلك الأمر بالنسبة للقراءة الشاذة : "الزانيةَ والزانيَ"[1] .

6 – يرى الأخفش في قوله تعالى :ﭐلنَّسَآءِ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمۡ كُفَّارٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾ [النساء:18]، أن اللام في الآية للابتداء، والذين في موقع مبتدأ وخبره الجملة التي بعده، وقد رُد عليه بأن اللام رسمت في المصحف "لا" فلا تكون للابتداء، كما لا يكون لفظ "الذين"مبتدأ. ويرى في قوله تعالى:ﭐلرُّومِ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿٤﴾ [الروم:4]، أن "إذ" ليست مبنية وإنما هي معربة لزوال افتقارها إلى الجملة وأن الكسرة إعراب، لأن "اليوم" مضاف إليه[2].

7 – يرى المبرد جواز دخول لام الابتداء على أن المفتوحة الهمزة ويستدل بقراءة سعيد بن جبير الشاذة: "إلاَّ أنهم ليَأكلونَ الطعامَ"، والقراءة المتواترة:ﭐلۡفُرۡقَانِ إِلَّآ إِنَّهُمۡ لَيَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ [الفرقان:20]، وتعصب المبرد إلى مذهبه النحوي على حساب هذه القراءة الشاذة؛وجميع النحوين إذا دخلت اللام لم يكن في "إن" إلا الكسر، ولو لم تكن اللام ما جاز أيضا إلا الكسر لأنها مستأنفة في الآية، ووصفوا ذلك بالغلط القبيح من المبرد؛ واستشهدوا بقول كثير عزة:

---

[1]–القراءات الشاذة وتوجيهها النحوي، مصدر سابق، ص177وص472 بتصرف

[2]–أثر القرآن والقراءات في النحو العربي، مصدر سابق، ص 98

مَا أَعْطَيْانِي وَلاَ سَأَلْتُهُمَا إلاَّ وإنِّيْ لِحَاجِزِي كَرَمِي[1]

8 – نجد قطرب يصنع كتاب في الإعراب وينسب إليه، ويرى من القواعد ما يؤيدها بالآيات الكريمة، ومن ذلك ما يراه من مجيء "أن" بمعنى "قد"، ويحتج لرأيه بقوله تعالى:ﭐلۡغَٰلِبِينَ فَذَكِّرۡ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكۡرَىٰ ٩ ﭐلۡغَٰلِبِينَ [الأعلى:9]، أي قد نفعت الذكرى[2].

9 – منع الكوفيون دخول اللام على حرف التنفيس، وغلطهم البصريون لوروده في قوله تعالى: ﭐلۡغَٰلِبِينَ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ٥ ﭐلۡغَٰلِبِينَ [الضُّحى:5][3].

10– ذهب الكوفيون إلى أن الفعل الماضي يجوز أن يقع حالاً؛ واحتجوا بقوله تعالى:ﭐلۡغَٰلِبِينَ أَوۡ جَآءُوكُمۡ حَصِرَتۡ صُدُورُهُمۡ ﭐلۡغَٰلِبِينَ [النساء:90]، فحصرت فعل ماض وهو في موضع حال، وأما البصريون فذهبوا إلى أنه لا يجوز أن يقع حالاً، وخرجوا الآية تخريجات منها:أنه خبر بعد خبر كأنه قال:" أَوْ جَآؤُوكُمْ "، ثم أخبر فقال: "حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ"[4].

2 – المدرسة الكوفية:أتت هذه المدرسة بعد مدرسة البصرة وتعد هذه الأخيرة الأصل والكوفة الفرع، وسبقت مدرسة البصرة الكوفة بمئة سنة تقريبًا، ونشأت بعد ما تطورت المدرسة البصرية ووصلت إلى القمة.وقد أخذت الكوفة الكثير من القواعد والأصول من المدرسة البصرية، وأعيان العلماء الأوائل في المدرسة

---

[1]–أثر القرآن والقراءات في النحو العربي، مصدر سابق، ص100، والبيت لكثير عزة، وهو كثير بن عبد الرحمن، من قصيدة له يمدح فيها عبد الملك بن مروان بن الحكم وأخاه عبد العزيز بن مروان، انظر: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ابن عقيل الهمداني، المحقق : محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: دار التراث – القاهرة، دار مصر للطباعة، سعيد جودة السحار وشركاه، الطبعة : العشرون 1400 هـ - 1980 م، ج1، ص353، بتصرف. وانظر: القراءات الشاذة وتوجيهها النحوي، مصدر سابق، ص433

[2]–المدارس النحوية، د شوقي ضيف، الطبعة السابعة، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ص111

[3]–شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، مصدر سابق، ج2، ص67

[4]–القران الكريم واثره في الدراسات النحوية، مصدر سابق،، ص121

الكوفية تتلمذوا على البصريين، أمثال الكسائي[1] الذي هو عميد المدرسة فقد أخذ عن الخليل، والرواية تقول أن الكسائي لقي الخليل فقال له: "من أين أخذت علمك هذا ؟ فقال: من بوادي الحجاز ونجد وتهامة، فخرج ورجع، وقد أنفذ خمس عشرة قنينة حبرًا في الكتابة عن العرب سوى ما حفظ، ثم قدم البصرة، فوجد الخليل قد ما توفي موضعه يونس بن حبيب، فجرت بينهما مسائل، أقرله فيها يونس وصدره في موضعه"[2].وأقبل الطلاب على علماء الكوفة يأخذون عنهم النحو، ويتلقون عليهم مسائله وأصوله، وأصبح للكوفيين منهج خاص، تكوَّن بعد طول النظر وكثرة الجدل، ومن أجل هذا المنهج الكوفي المغاير في بعض أسسه للمنهج البصري، نشأ الخلاف بين المدرستين، واحتدم النزاع بين الطائفتين، وكان لكل مدرسة أنصار وأتباع.

أما بالنسبة للاستشهاد فكانت مدرسة الكوفة مثل مدرسة البصرة إلا أنها توسعت أكثر منها بكثير، فاستشهدت بالقرآن الكريم وبلهجات عرب قبائل الأرياف، في حين رفض البصريون الاستشهاد بها، واستشهدوا بالشعر الجاهلي والإسلامي والأموي واستكثروا من الاستشهاد بالقراءات حتى الشاذ منها، لأنها تقوم على الرواية والنقل، وبنوا كثيراً من القواعد النحوية عليها[3].وكان من أكبر علماء

---

[1]–على بن حمزة أبو الحسن الأسديّ المعروف بالكسائيّالنحويّ، فارسي الأصل، سئل عن تلقيبه بالكسائي فقال: (لأني أحرمت في كساء)، وقيل في السبب غير هذا، نشأ بالكوفة وتعلم النحو على كبر، وذلك لأنه حادث قوما من الهباريين لحنوه فأنف من التخطئة، وقام من فوره وطفق يتعلم النحو، فأخذ عن معاذ الهراء ما عنده ثم توجه تلقاء البصرة فتلقى عن عيسى، وكان الكسائي إماما في فنون عديدة: النحو والعربية وأيام الناس، وقرأ القرآن على حمزة الزيات أربع مرت، واختار لنفسه قراءة صارت إحدى القراءات السبع. انظر: طبقات النحويين واللغويين، مصدر سابق، ص127، ونزهة الألباء في طبقات الأدباء، مصدر سابق، ص58، وإنباه الرواة على أنباه النحاة، مصدر سابق، ج2، ص256، ووفيات الأعيان، مصدر سابق، ج3، ص256

[2]–نشأة النحو، مصدر سابق، ص15

[3]–مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، د مهدي المخزومي، الطبعة: الثانية1958م، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ص78

الكوفة الرؤاسي[1]صاحب كتاب "الفيصل" في النحو، وسيبويه نقل في كتابه عنه كما نقل عن البصريين، فإلى الرؤاسي يرجع بدء النحو في الكوفة دراسة وتأليفًا، فهو رأس الطبقة الأولى الكوفية، وكتابه أول مؤلف في النحو بالكوفة، ومن أكبر علمائها أيضا الكسائي وعلى يديه تكاثرت الفوارق بين المذهبين البصري والكوفي لأسباب عديدة، وله المناظرة المشهورة مع سيبويه "المسألة الزنبورية"، والتي يقال أنها كانت السبب في وفاة سيبويه، وهي مسألة خلافية مشهورة في تاريخ النحو العربي، وتوضح لنا صورة من صور التنافس بين المدرستين، ويمثل كل مدرسة رئيسها، فسيبويه من مدرسة البصرة، والكسائي من مدرسة الكوفة.

وقد حفلت بها كتب العلم والأدب، واهتم بها علماء التراجم والطبقات، وذكرها أبو البركات الأنباري في الإنصاف بقوله: "ذهب الكوفيون إلى أنه يجوز أن يقال: كنت أظن أن العقرب أشد لسعة من الزنبور، فإذا هو إياها، وذهب البصريون إلى أنه لا يجوز أن يقال: فإذا هو إياها، ويجب أن يقال: فإذا هو هي". والقصة طويلة وخلافية بين علماء النحو؛ والمقام لا يسع لبسطها[2].

ومات الكسائي هو ومحمد بن الحسن الشيباني صاحب أبو حنيفة في سنة واحدة فقال الرشيد: "اليوم دفنت الفقه والنحو جميعًا".

---

[1]–وهو أبو جعفر محمد بن الحسن، مولى محمد بن كعب القرظي، لقب بالرؤاسي لكبر رأسه، نشأ بالكوفة وورد البصرة فأخذ عن أبي عمرو بن العلاء وغيره من علماء الطبقة الثانية البصرية، ثم قفل إلى الكوفة، واشتغل فيها بالنحو مع عمه معاذ وغيره، فتكونت الطبقة الأولى الكوفية، وتوفي في عهد الرشيد. انظر: طبقات النحويين واللغويين، مصدر سابق، ص125، ونزهة الألباء في طبقات الأدباء، مصدر سابق، ص50، وإنباه الرواة على أنباه النحاة، مصدر سابق، ج4، ص105، والأعلام، مصدر سابق، ج6، ص271

[2]–انظر المسألة الزنبورية في: الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين، أبو البركات، كمال الدين الأنباري، الناشر: المكتبة العصرية، الطبعة: الأولى 1424هـ- 2003م، ج2، ص576، وطبقات النحويين واللغويين، مصدر سابق، ص68، وإنباه الرواة على أنباه النحاة، مصدر سابق، ج2، ص358

ومن تلاميذ الكسائي الفراء: وهو أحد أعيان مدرسة الكوفة[1] وكذلك اللحياني[2] وابن سعدان[3]، ومن أشهر علماء الكوفة:أبي العباس أحمد بن يحيى المعروف بثعلب[4].وكان أهم كتاب نحوي في المدرسة الكوفية هو كتاب "معاني القرآن

---

[1]–وهو أبو زكريا يحيى بن زياد، مولى بني أسد، لقب بالفراء لأنه: كان يفري الكلام. ولد بالكوفة من أصل فارسي، وتلقى عن الكسائي وغيره، وتبحر في علوم متنوعة، فكان فذًا في معرفة أيام العرب وأخبارها وأشعارها والطب والفلسفة والنجوم، وتقصى أطراف علم النحو حتى قيل فيه: (الفراء أمير المؤمنين في النحو)، ولازم المأمون وكتب له كتاب "الحدود في النحو"، وهو الذي قال: (أموت وفي نفسي شيء من حتى لأنها ترفع وتنصب وتخفض. انظر: طبقات النحويين واللغويين، مصدر سابق، ص131، ونزهة الألباء في طبقات الأدباء، مصدر سابق، ص81، وإنباه الرواة على أنباه النحاة، مصدر سابق، ج4، ص7، والأعلام، مصدر سابق، ج4، ص277

[2]–وهو أبو الحسن علي بن المبارك من بني لحيان، أخذ عن الكسائي وغيره، وله كتاب "النوادر". انظر: طبقات النحويين واللغويين، مصدر سابق، ص195، ونزهة الألباء في طبقات الأدباء، مصدر سابق، ص137، وإنباه الرواة على أنباه النحاة، مصدر سابق، ج2، ص255،و سير أعلام النبلاء، مصدر سابق، ج1، ص137

[3]–وهو أبو جعفر الضرير محمد بن سعدان، نشأ بالكوفة، وأخذ عن أبي معاوية الضرير وغيره، ثم اشتهر بالعربية والقراءات، وصنف كتابًا في النحو.انظر: طبقات النحويين واللغويين، مصدر سابق، ص139، ونزهة الألباء في طبقات الأدباء، مصدر سابق، ص129، وإنباه الرواة على أنباه النحاة، مصدر سابق، ج4، ص244،و سير أعلام النبلاء، مصدر سابق، ج3، ص89

[4]– ابو العباس أحمد بن يحيى بن زيد النحوي الشيباني بالولاء، المعروف بثعلب شيخ أديب بارع، كان إمام الكوفيين في النحو واللغة، قرأ على ابن الأعرابي والزبير بن بكار، وكان الشيوخ يقدمونه عليهم وهو حديث السن لعلمه وفضله، وهو صاحب كتاب "الفصيح" في اللغة، وسمي بثعلب لأنه: كان إذا سئل عن مسألة أجاب من هاهنا وهاهنا فشبهوه بالثعلب إذا أغار، ذكره الخطيب في تاريخ بغداد وأثنى عليه كثيرا، وقال بعد ذكر جماعة ممن روى عنه: كان ثقة حجة دينا صالحا مشهورا بالحفظ وصدق اللهجة والمعرفة بالغريب ورواية الشعر القديم، وأصيب بالصمم في نهاية حياته، وقيل: كان هو السبب في موته لما يحكى أنه خرج من الجامع يوم الجمعة بعد العصر وكان في يده كتاب ينظر فيه في الطريق فصدمته فرس فألقته في هوة فأخرج منها وهو كالمختلط فحمل إلى منزله على تلك الحال وهو يتأوه من رأسه، فمات ثاني يوم. انظر: طبقات النحويين واللغويين، مصدر سابق، ص141، ونزهة الألباء في طبقات الأدباء، مصدر سابق، ص173، وإنباه الرواة على أنباه النحاة، مصدر سابق، ج1، ص176، ووفيات الأعيان، مصدر سابق، ج1، ص102

للفراء".وكانت هناك خلافات كبيرة بين المدرستين البصرية والكوفية، وهذا نظرًا لعدة عوامل من بينها الافتخار بالتفوق في العلم في مجالس الخلفاء، وكان الجانب السياسي له دور كبير في الاختلاف، فالكوفة كانت معقل وعاصمة الخلافة في عهد علي بن أبي طالب، وكانت البصرة من المؤيدين لعثمان والأمويين بعد تأسيس الدولة ومقتل علي ، ثم انتعشت المدرسة الكوفية بعد دعوة بني العباس وكان مركزهم الأول في الكوفة قبل الانتقال إلى بغداد وجعلها عاصمة للخلافة.

أ ـ الكوفيون والاستشهاد بالقرآن الكريم:

1 – "من" تستعمل في الزمان كماتستعمل في المكان عند الكوفيين واستدلوا بقوله تعالى:﴿لَّمَسۡجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقۡوَىٰ مِنۡ أَوَّلِ يَوۡمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِۚ﴾ [التوبة:108]، فدخلت"من" على "أول يوم" وهوظرف زمان.وذهب البصريون إلى أنه لا يجوز استعمالها في الزمان، وقالوا: أجمعنا على أن "مِنْ" في المكان نظير مُذْ في الزمان؛ لأن مِنْ وضعت لتدل على ابتداء الغاية في المكان؛ كما أن مُذْ وضعت لتدل على ابتداء الغاية في الزمان، ألا ترى أنك تقول: "ما رَأَيْتُهُ مُذْ يَوْمُ الجُمْعة" فيكون المعنى أن ابتداء الوقت الذي انقطعت فيه الرؤية يوم الجمعة، كما تقول: "ما سِرْتُ مِنْ بَغْدَادَ" فيكون المعنى ما ابتدأت بالسير من هذا المكان، فكما لا يجوز أن تقول "ما سرت مُذْ بغداد" فكذلك لا يجوز أن تقول "مَا رَأَيْتُهُ من يوم الجمعة". أما احتجاجهم بالآية، فلا حجة لهم فيها؛ لأن التقدير فيها: من تأسيس أول يوم، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مُقَامه. ورفض البصريون كل النصوص التي تدل دخولها على الزمان، واتخذوا من التأويل سبيلاً لذلك، خلافا للكوفيين الذين يجيزون دخولها على الزمان، وقد تعصب ابن الأنباريّ إلى رأي البصريين، والحق مع الكوفيين، فهم لم يقولوا إن "مذ" يجوز أن تكون لابتداء الغاية المكانية، واقتصار "مذ" على الزمان لا يلزم بأن تقتصر "من" على المكان، وليس من الضروريتناظرهما على ابتداء الغايةأن يتناظرا في كل شيء. والذين لا

يجيزون دخول "من" على الزمان يحجرون على الناس القول: صمت من أول الشهر إلى آخره، وعملنا من الصباح إلى المساء، ونحو ذلك، ولا وجه لهذا التقييد، ولسنا ندري على أي وجه يبيحون القول: سرت من مكان كذا إلى مكان كذا، ولا يجيزون سرت من الصباح إلى المساء، وكل حدث يمتد في الزمان كامتداده في المكان[1].

2 – قال تعالى:﴿ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [البقرة:234]، يرى الكسائي في قوله: "أن يتربصن" جرى خبرا عن الاسم الذي تقدم في صلة الموصول لأن الغرض من الكلام:أن يتربصن هنّ. وقال العكبري: في هذه الآية أقوال: أحدها: أن الذين مبتدأ؛ والخبر محذوف تقديره: وفيما يتلى عليكم حكم الذين يتوفون منكم، وقوله: "يتربصن" بيان الحكم المتلو. وهذا قول سيبويه، أي رأي المدرسة البصرية.

والثاني: أن المبتدأ محذوف، والذين قام مقامه، وتقديره: وأزواج الذين يتوفون منكم، والخبر"يتربصن"، ودل على المحذوف قوله: ويذرون أزواجا.والثالث: أن الذين مبتدأ، و "يتربصن": الخبر، والعائد محذوف تقديره: يتربصن بعدهم، أو بعد موتهم. والرابع: أن الذين مبتدأ، وتقدير الخبر أزواجهم يتربصن، فأزواجهم مبتدأ، ويتربصن الخبر، فحذف المبتدأ لدلالة الكلام عليه. والخامس: أنه ترك الإخبار عن "الذين"، وأخبر عن الزوجات المتصل ذكرهن بالذين، لأن الحديث معهن في الاعتداد بالأشهر، فجاء الإخبار عما هو المقصود؛ وهذا قول الفراء[2]، أي رأي المدرسة الكوفية.

---

[1]–انظر هذه المسألة والتوجيهات والردود في: النحويون والقرآن، خليل الحسون، مكتبة الرسالة الحديثة عمان الأردن، الطبعة الأولى 2002م، ص24، والإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين، مصدر سابق، ج1، ص306، والتبيان في إعراب القرآن، أبو البقاء العكبري، المحقق: علي محمد البجاوي، الناشر : عيسى البابي الحلبي وشركاه، ج2، ص660

[2]–التبيان في إعراب القرآن، مصدر سابق، ج1، ص187

3 – قال تعالى: ﴿ٱلْعَٰلَمِينَ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾﴾ [الزُّمَر:9]، يرى الفراء أن "الهمزة" في هذه الآية همزة نداء؛ كأنه قيل: يا من هو قانت، بينما يرى غيره أنها للاستفهام، أي: أم من هو قانت؟ والمعنيان ينطبقان على هذه الآية الكريمة.

4 – أجاز الكوفيون العطف "بإلا" واستدلوا بقوله تعالى: ﴿ٱلْعَٰلَمِينَ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾﴾ [هود:107]، أي "وما شاء ربكمن الزيادة"، وذهب البصريون إلى أنها لا تكون بمعنى الواو؛لأن إلا للاستثناء، والاستثناء يقتضي إخراج الثاني من حكم الأول، والواو للجمع، والجمع يقتضي إدخال الثاني في حكم الأول؛ فلا يكون أحدهما بمعنى الآخر. وفي هذا الاستثناء قولان:أحدهما: هو منقطع، والثاني: هو متصل.والمعنى على هذا: أن الكفار في النار والأشقياءمن المؤمنين كذلك، والخارج منهم من الناربفضل الله [1]، والراجح ما ذهب إليه البصريون والله أعلم.

5 – أسماء الإشارة عند الكوفيين يجوز أن تستعمل موصولات واستدلوا بقوله تعالى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى﴾[طه:17]، أي "الذي بيمينك".وذهب البصريون إلى أنه لا يكون بمعنى الذي، وكذلك سائر أسماء الإشارة لا تكون بمعنى الأسماء الموصولة؛ وحجتهمبأن قالوا: إنما قلنا ذلك لأن الأصل في "هذا" وما أشبهه من أسماء الإشارة أن تكون دالة على الإشارة، و"الذي" وسائر الأسماء الموصولة ليست في معناها؛ فينبغي أن لا يحمل عليها، وهذا تمسك بالأصل واستصحاب الحال، وهو من جملة الأدلة المذكورة، فمن ادَّعى أمرًا وراء ذلك بقي مُرْتَهَنًا بإقامة الدليل، ولا دليل لهم يدل على ما ادَّعوْهُ.وأما الآية، فلا حجة

---

[1]–انظر الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين، مصدر سابق، ج1، ص218، والتبيان في إعراب القرآن، مصدر سابق، ج2، ص715

لهم فيها؛ لأن "تلك" معناها الإشارة وليست بمعنى الذي، والتقدير فيه: أي شيء هذه بيمينك؟ و"تلك" بمعنى هذه كما يكون "ذلك" بمعنى هذا[1]، والحق مع البصريين لأنه تمسك بالأصل واستصحاب الحال، والله أعلم.

6 ــ كان الفراء يضعف قراءة ابن عامر وهو أحد القراء السبعة في الآية: ﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُواْ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ ۖ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٧﴾﴾ [الأنعام:137]، فابن عامر يقرأ "وكذلك زُيِّن لكثير من المشركين قتلُ أولادَهم شركائهم" بالفصل بين المضاف وهو قتل، والمضاف إليه وهو شركائهم بالمفعول به، وأنكر الفراء البيت الذي أنشده الأخفش دعمًا لذلك، وهو قول بعض الشعراء في وصف ناقته:فَزَجَجْتُهَا بِمَزَجَّةٍ زَجَّ القَلُوصَ أَبِي مَزَادَهْ[2]

وقد خالفه في ذلك الأخفش وجمهور الكوفيين مجوزين الفصل بين المضاف والمضاف إليه بالمفعول به، كما فعل الشاعر؛والتقدير: زج أبي مَزَادَةَ القَلُوصَ، ففصل بين المضاف الذي هو قوله زج والمضاف إليه الذي هو قوله أبي مزادة بالقلوص، وهو مفعول، وانتصر لهم ابن جني محتجًا بقدرة الشاعر على أن يقول: "زجَّ القلوصِ أبو مزاده"، ويعلق على ذلك بقوله: "في هذا البيت عندي دليل على قوة إضافة المصدر إلى الفاعل عندهم، وأنه في نفوسهم أقوى من إضافته

---

[1]–انظر: الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين، مصدر سابق، ج2، ص591، وأثر القرآن والقراءات في النحو العربي، مصدر سابق: وهذه المسائل مرتبة بداية من: ص80 حتى: ص 112 بتصرف.

[2]–هذا البيت من الشواهد التي لا يعرف قائلها، ولا يعرف له سوابق أو لواحق، والزج – بضم الزاي وتشديد الجيم – الحديدة التي تركب في أسفل الرمح،والقلوص – بفتح القاف – الناقة الشابة، وأبو مزادة: كنية رجل، انظر: الخصائص، مصدر سابق، ج2، ص408، والإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين، مصدر سابق، ج2، ص349

إلى المفعول، ومن ذلك قراءة ابن عامر: وكذلك زُيِّن لكثير من المشركين قتلُ أولادَهم شركائهم"[1]، ومذهب الجمهور في هذا هو الراجح؛ لأن قراءة ابن عامر قراءة متواترة صحيحة، ولا يمكن ردها.

3 – المدرسة البغدادية: تعد هذه المدرسة من المدارس الجديدة التي ظهرت بعد مدرستي البصرة والكوفة إلا أنها لم تكن مثلهم فلقد كانت بغداد عاصمة الخلافة العباسية التي بناها أبوجعفر المنصور، والخليفة أبو العباس السفاح قبله لم يكن في بغداد، بل كان في الكوفة ثم انتقل إلى واسط، وكان اهتمام الخلفاء بعلم النحو والعلماء من أهم الأسباب التي أدت إلى ظهور هذه المدرسة، وإن كان بعض الدارسين لا يهتمون بهذه المدرسة، ويشيرون فقط إلى مدرستي البصرة والكوفة، إلا أن هذه المدرسة أشرنا إليها لقيامها على يد عالمين كبيرين أبي علي الفارسي وتلميذه ابن جني، وكان لهما دور كبير في خدمة النحو والقرآن، وكان هذا المذهب وسط بين المدرستين، مما أذاب التعصب الذي كان بينهما، ومن أبرز علماء المدرسة البغدادية:أبي علي الفارسي صاحب كتاب "الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها"، وأبي الفتح عثمان بن جني وهو من تلاميذه، وله كتابه المهم في النحو "الخصائص" وكتاب"سر صناعة الإعراب" وكتاب "المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها"، ومن أبرز آراء هذه المدرسة:

1 – قال تعالى:﴿ٱلْمَرَاضِعَ﴾ ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ﴾ [القصص:12]، يُجوز أبو علي الفارسي أن يكون لفظ "المراضع" جمع للمصدر "مرضع"، أو جمع لصفة "مرضع". قال مكي: وحرمنا على المراضع رضاعه، والتحريم بمعنى المنع، معروف في اللغة، وواحد المراضع: مرضع، ومن قال: مراضع، فهو جمع: مرضاع، ومفعال، بناء للتكثير، ولا تدخل الهاء في مؤنثه إذ ليس بجار على

[1]–انظر: المدارس النحوية، د شوقي ضيف، مصدر سابق، ص271، والإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين، مصدر سابق، ج2، ص349

الفعل، وقد قالوا: مرضاعة، فأدخلوا الهاء للمبالغة لا للتأنيث، كما قالوا: مطرابة[1].

2 ـ قال تعالى:ﭐلۡـَٰٔنَ جِئۡتَ بِٱلۡحَقِّۗ أَلَا يَوۡمَ يَأۡتِيهِمۡ لَيۡسَ مَصۡرُوفًا عَنۡهُمۡ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٨﴾ [هود:8]، يرى ابن جني أن كلمة "يوم" تحتمل إعرابين أحدهما:أنها ظرف زمان، والآخر:أنها منصوبة بمعنى "إلا"لأنها للتنبيه.وهي مسألة: القول في تقديم خبر "ليس" عليها، والقائلين بامتناع تقديم خبر ليس عليها هم جمهور الكوفيين، والمتأخرين من البصريين، وقد اختار هذا الرأي ابن مالك في ألفيته، وذهب البصريون إلى أنه يجوز تقديم خبر "ليس" عليها كما يجوز تقديم خبر كان عليها، مستدلين بهذه الآية الكريمة، وهو الرأي الراجح والله أعلم[2].

3 – قال تعالى:ﭐلۡـَٰٔنَ فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ [البقرة:178]، يرى ابن جني أن هناك جارًا لكلمة "شيء" قد حذف، والأصل: فمن عفي له من أخيه عن شيء[3]، وهو توجيه صحيح لهذه الآية الكريمة.

4 ـالمدرسة الأندلسية:إن أغلب العلماء في العصر الحديث حين درسوا المنهج الأندلسي النحوي، لم يصنفوا هذه المدرسة بمذهب مستقل عن المدارس النحوية في المشرق كمدرسة البصرة والكوفة وبغداد، وأول من أستعمل هذه المدرسة وخصها بمنهج محدد الدكتور شوقي ضيف في كتابه: المدراس النحوية، حيث ذكر أن هذه المدرسة امتازت بمنهج معين، وهناك علماء كبار برعوا في النحو بالأندلس، وحدد ظهور هذه المدرسة بظهور دولة بني أمية في الأندلس بزعامة عبد الرحمان الداخل "صقر قريش" سنة 138هـ، وانفصالها عن الخلافة العباسية

---

[1]–الهداية إلى بلوغ النهاية، مصدر سابق، ج8، ص5498

[2]–انظر: الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين، مصدر سابق، ج1، ص130

[3]–القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية، مصدر سابق: انظر هذه المسائل مرتبة بداية من: ص125حتى: ص151 بتصرف

في بغداد في عهد أبي جعفر المنصور، وانتقال علماء من الأندلس إلى المشرق للتلمذةعلى كبار علماء المدرستين البصرية والكوفية، وكان كبيرهم جودي بن عثمان النحوي الذي رحل للمشرق وتتلمذ للكسائي والفراء، وهو من أَدخل للأندلس كُتب الكوفيين، وكان معاصر له العالم أبو عبد الله محمد بن عبد الله الذي رحل إلى المشرق مثله، وأخذ عن عثمان بن سعيد المصري المعروف باسم ورش قراءته وأدخلها إلى الأندلس، والتي هي إلى يومنا هذا منتشرة في مناطق شاسعة من المغرب العربي، وكان بصير بالعربية، وكثُرَ هؤلاء العلماء في القرن الثالث الهجري، وبرز منهم عبد الملك بن حبيب السلمي الذي كان إمام في الفقه والحديث والنحو واللغة ومن مصنفاته كتاب في إعراب القرآن[1].وقد اعتنت هذه المدرسة في البداية بالنحو البصري ثم انتقلت للنحو الكوفي بسبب تتلمذ هؤلاء العلماء على مختلف النحاة في المدرستين بالمشرق، وأخذ النحو يزدهر ويتجلى له أعلام في عهد ملوك الطوائف والمرابطين والموحدين بعد زوال دولة بني أمية بالأندلس، حيث كان العلماء يميلون إلى شتى المدارس النحوية البصرية والكوفية والبغدادية، وأصبح النحو في الأندلس يتجه إلى الاستقلال بفكر معين ومنهج جديد في النحو، وأصبحت لهم آراء تخالف المدارس النحوية في المشرق، غير أنها لم ترق لأن تكون مدرسة مستقلة، وبرز علماء أجلاء مثل: ابن مالك صاحب الألفية في النحو، وأبو علي القالي صاحب الأمالي، وابن القوطية صاحب كتاب الأفعال، وأخذ علماء الأندلس يسارعون إلى كتب المشارقة في النحو بالدراسة والشرح، واشتهر منهم علماء كبار مثل ابن خروف وابن عصفور الإشبيلي والبطليوسي والشلوبين وابن الطراوة والسهيلي، وكان خاتمة علماء الأندلس اثنين رُزقا الشهرة ورحلا إلى المشرق، فبثا علمهما فيه، وكثرت تآليفهما وكُتب لها الذيوع والانتشار حتى عصرنا هذا، منهم الإمام ابن مالك الجياني صاحب الألفية في النحو، والتي لها عدة شروح وهي إلى يومنا هذا

[1]–المدارس النحوية، د شوقي ضيف، مصدر سابق، ص291

يتسابق العلماء والطلاب في حفظها وشرحها، والإمام أبي حيان الغرناطي صاحب التفسير الكبير المشهور بالبحر المحيط، وكتاب الارتشاف في النحو[1]. وفي ختام هذه المدرسة نذكر أن العلماء منقسمين حول النحو الأندلسي هل هو مدرسة مستقلة بذاتها؟ أو هو امتداد للمدرستين البصرية والكوفية؟ وهذا راجع لتتلمذ كثير من نحاة الأندلس على علماء المدرستين ورحلاتهم للمشرق، ونقل كتبهم وشرحها، وبناء أصولهم على منهج المدرستين، بالإضافة إلى الإتيان بأشياء جديدة في النحو.وبحث محدود مثل هذا لا يمكن التعرض فيه إلى مناقشة هذه المسألة الخلافية وترجيح الأقوال فيها.

وقبل الخروج من الحديث عن المدارس لابد من الإشارة إلى أن العلماء أشاروا إلى مدرستين غير هذه المدارس، وهي المدرسة الشامية والمصرية، وإن كان لهاتين المدرستين علماء لهم دور كبير في النحو إلا أن أغلبهم كانوا من بغداد موطن النحو مثل: الأخفش الصغير الذي انتقل من بغداد إلى مصر وتفرغ لتدريس النحو واللغة بها، وكراع النمل الذي رحل إلى بغداد وأخذ عن البصريين والكوفيين وهو صاحب كتاب المنضد[2]، وابن معطي صاحب الألفية في النحو، وابن هشام العالم الموسوعي صاحب التصانيف المهمة مثل: شذور الذهب وقطر الندى ومغني اللبيب وغيرها، وكذلك نجد ابن عقيل صاحب الشرح القيم على الألفية المعروف بشرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ـ هذا في مصر ــوأما الشام فاشتهر من علمائه ابن يعيش صاحب شرح المفصل، وابن الناظم: وهو ابن ابن مالك صاحب الألفية، وشرح معظم كتب والده في النحو، والسمين الحلبي صاحب التفسير[3]، وكان أغلب هؤلاء العلماء متأثرين بالمنهج البصري أو الكوفي، أو التوفيق بينهما، أو الإتيان بقواعد جديدة في النحو، ونقلوا كتب علماء المدرستين

---

[1]–من تاريخ النحو العربي، سعيد بن محمد الأفغاني، الناشر: مكتبة الفلاح، ص96 . 107

[2]–المدارس النحوية، د شوقي ضيف، مصدر سابق، ص329

[3]–نشأة النحو، مناهج جامعة المدينة العالمية، الناشر: جامعة المدينة العالمية 2009م، ص577

واعتنوا بشرحها ودراستها، ولم يكن لهم منهج خاص في النحو، وكان امتداد فقط للمدارس السابقة في نظر علماء النحو لا غير.

خاتمة

من خلال ما تقدم عن هذه الدراسة نستنتج أن نشوء علم النحو جاء لخدمة القرآن بالدرجة الأولى ولظهور اللحن في اللغة عامة وفي القرآن الخاصة، وهذا ما أشرت إليه في هذا البحث وأكدت عليه، فاللحن في القرآن أشد من اللحن في الكلام، لأن المعنى يتغير كما هو معروف، وهو كلام الله لا يأتيه الباطل من بين يده ولا من خلفه، وبعد التطرق إلى المدارس النحوية تبين لي أن أغلب النحاة كانوا يجعلون القاعدة القرآنية هي الأصل ثم يبنون عليها القاعدة النحوية إلا ما شذّ منهم من الذين انتقدوا القراءات القرآنية واتهموها بمخالفة صواب اللغة، سواءً كانت القراءة متوترة أو شاذة، ووجدنا من علماء النحو من وجه القراءة الشاذة واستشهد بها في قاعدة نحوية مثل سيبويه، فكيف بالقراءة المتواترة؟ مع العلم أن من شروط القراءة المتواترة موافقة العربية ولو بوجه من الوجوه، وقد قال تعالى: ﴿ٱلۡعَٰلَمِينَ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا غَيۡرَ ذِي عِوَجٖ لَّعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ٢٨﴾ [الزُّمَر:28]، وهو معجز ببيانه وبلاغته، وتحدى العرب في زمن نزوله وهم أئمة الفصاحة والبلاغة، على أن يأتوا بشيء من مثله ولكنهم عجزوا، وتدرج معهم في التحدي إلى أن نزل قوله تعالى:﴿ٱلۡعَٰلَمِينَ قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ٨٨﴾ [الإسراء:88]، وتعد مدرستي البصرة والكوفة هما الأساس في تقعيد النحو، أما المدرسة البغدادية والأندلسية والمصرية والشامية فهي مسألة خلافية بين علماء النحو في عدهم مدارس مستقلة؛ أم هم امتداد فقط للمدارس السابقة، وبالتالي لم يكن لهم منهج مستقل في النحو.

وفي الختام لابدّ من الإشارة إلى أن الدراسة تطول حول أثر القرآن الكريم في النحو العربي، ومنهج المدارس النحوية في الاستشهاد به وتقعيد القواعد بقراءاته المتواترة

والشاذة، وهذا البحث المحدود لا يتسع لاستقصاء كل جوانب هذا الموضوع، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

قائمة المصادر والمراجع:

1 . الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة: 1394هـ/ 1974م، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

2 . أثر القرآن والقراءات في النحو العربي، د محمد سمير نجيب اللبدي، الطبعة الاولى 1978م، دار الكتب الثقافية الكويت.

3 ـ أسد الغابة في معرفة الصحابة، أبو الحسن عز الدين ابن الأثير، المحقق: علي محمد معوض – عادل أحمد عبد الموجود، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، 1415هـ – 1994 م.

4 ـ الأعلام، خير الدين الزركلي، الناشر: دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر – أيار / مايو 2002 م.

5 ـ إنباه الرواة على أنباه النحاة، القفطي، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار الفكر العربي – القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية – بيروت، الطبعة: الأولى، 1406 هـ – 1982م.

6 . البحث اللغوي عند العرب، د أحمد مختار عبد الحميد عمر، الطبعة: الثامنة 2003م، الناشر: عالم الكتب.

7 ـ البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي، المحقق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر – بيروت، الطبعة: 1420 هـ.

8 . البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، عام النشر: 1407 هـ – 1986 م، الناشر: دار الفكر.

9 . البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله الزركشي، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة: الأولى، 1376 هـ – 1957 م، الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه.

10 . البيان والتبين، أبو عثمان عمر بن بحر الشهير بالجاحظ، طبعة 1423هـ، الناشر: دار ومكتبة الهلال بيروت.

11 ـ التبيان في إعراب القرآن، أبو البقاء العكبري، المحقق: علي محمد البجاوي، الناشر : عيسى البابي الحلبي وشركاه.

12 ـ الجدول في إعراب القرآن الكريم، المؤلف: محمود صافي، الطبعة: الرابعة، 1418 هـ، الناشر: دار الرشيد، دمشق – مؤسسة الإيمان، بيروت.

13. دروس في المذاهب النحوية، د عبده الراجحي، دار النهضة بيروت.

14الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني، الطبعة الرابعة الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

15 ـ سير أعلام النبلاء، الذهبي، المحقق : مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، الناشر : مؤسسة الرسالة، الطبعة : الثالثة، 1405 هـ / 1985 م.

16 ـ شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ابن عقيل الهمداني، المحقق : محمد محيي الدين عبد الحميد، الطبعة: العشرون 1400 هـ - 1980 م، الناشر : دار التراث - القاهرة، دار مصر للطباعة، سعيد جودة السحار وشركاه.

17 ـ ضياء السالك إلى أوضح المسالك، محمد عبد العزيز النجار، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى 1422هـ - 2001م.

18 ـ الطبقات الكبرى، ابن سعد، المحقق: إحسان عباس، لناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الأولى، 1968م.

19 ـ طبقات النحويين واللغويين، محمد بن الحسن الزبيدي الأندلسي، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة: الثانية، الناشر: دار المعارف.

20 ـ فوات الوفيات، ابن شاكر الكتبي، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الأولى 1973م.

21في تاريخ الأدب الجاهلي، علي الجندي، الطبعة الأولى 1991م، الناشر: مكتبة دار التراث.

22 ـ القراءات الشاذة وتوجيهها النحوي، محمود محمد الصغير، دار الفكر دمشق، الطبعة الأولى 1999م.

23. القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية، عبد العالي سالم مكرم، الطبعة الثانية: 1978م، دار المعارف مصر.

24 ـ قصة الأدب في الحجاز، عبد الله عبد الجبار ـ محمد عبد المنعم خفاجي، الناشر: مكتبة الكليات الأزهرية.

25 ـ الكتاب، عمرو بن عثمان بن قنبر الملقب بسيبويه، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الطبعة: الثالثة، 1408 هـ - 1988 م، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة.

26 ـ لسان العرب، محمد بن مكرم أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور، الطبعة: الثالثة - 1414 هـ، الناشر: دار صادر – بيروت.

27 ـ اللمحة في شرح الملحة، شمس الدين، ابن الصائغ، المحقق: إبراهيم بن سالم الصاعدي، لناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1424هـ/2004م.

28 ـ المدارس النحوية، د شوقي ضيف، الطبعة السابعة، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

29 ـ مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، د مهدي المخزومي، الطبعة: الثانية1958م، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

30 ـ المستدرك على الصحيحين، تأليف أبو عبد الله الحاكم، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، 1411 – 1990، – بيروت.

31 ـ من تاريخ النحو العربي، سعيد بن محمد الأفغاني، الناشر: مكتبة الفلاح.

32 ـ منهج سيبويه في الاستشهاد بالقرآن الكريم وتوجيه قراءاته ومآخذ بعض المحدثين، د سليمان يوسف خاطر، طبعة 2004م، دار ابن الجوزي عمان الأردن.

33 ـ المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم وبعض شعرهم، أبو القاسم الآمدي، المحقق: الأستاذ الدكتور ف. كرنكو، الناشر: دار الجيل، بيروت، الطبعة: الأولى، 1411 هـ – 1991 م.

34 ـ النحو العربي –تاريخه – أعلامه – نصوصه –مصادره، د محمد سليمان ياقوت، طبعة: 1994م، دار المعرفة الجامعية القاهرة.

35 ـ النحويون والقرآن، خليل الحسون، مكتبة الرسالة الحديثة عمان الأردن، الطبعة الأولى 2002م.

36 ـ نزهة الألباء في طبقات الأدباء، كمال الدين الأنباري، المحقق: إبراهيم السامرائي، الناشر: مكتبة المنار، الزرقاء – الأردن، الطبعة: الثالثة، 1405 هـ – 1985 م.

37 ـ نشأة النحو، مناهج جامعة المدينة العالمية، مجموعة مؤلفين بإشراف الجامعة، الناشر: جامعة المدينة العالمية 2009م.

38 ـ نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، محمد طنطاوي، المحقق: أبي محمد عبد الرحمن بن محمد بن إسماعيل، الطبعة: الأولى 2005م–1426هـ، الناشر: مكتبة إحياء التراث الإسلامي.

39 ـ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ابن خلكان، المحقق: إحسان عباس، لناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: 1، 1994، ج.6

40 ـ الهداية إلى بلوغ النهاية، مكي القيسي، المحقق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي – جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة، الطبعة: الأولى، 1429 هـ – 2008 م.